# الصحة في الولاية الرابعة التاريخية بين النظام الثوري والقمع الفرنسي خلال الثورة التحريرية (1954- 1962)

د.جيلالي تكران*

**الملخص:**

شهدت المصالح الصحية بالولاية الرابعة التاريخية ضعفا ملحوظا في التجهيز والتسيير في الفترة 1954-1956 والتي كان التركيز فيها على كيفية تفجير العمل المسلح وجمع الأسلحة وإشراك فئات الشعب الجزائري لتوسيع نطاق الثورة شعبيا وجغرافيا وظل التكفل الصحي بالمصابين من عناصر جيش التحرير حينها لا يتجاوز المبادرات الفردية والاستعانة بالمعارف من أفراد لهم ميولا وطنية من داخل المستشفيات والصيدليات أو اللجوء إلى الطب الشعبي في أحسن الأحوال.

وفي مطلع 1956 اخذ القطاع الصحي في التشكل والتبلور بعد التحاق عدد من الطلبة الذين التحقوا بالثورة اثر إضراب 19-05-1956 حيث تم إلحاق عناصر ممن تمدرسوا تخصص الطب بالجامعة أو التمريض بالتكوين المهني بمختلف المراكز الصحية والتي بدورها ألحقت بالمصلحة المركزية مباشرة بمقر قيادة الولاية الرابعة ويزداد الأمر تنظيما بعد مؤتمر الصومام 1956واضراب الثمانية أيام 1957الذي هيكل المصالح الصحية وصنف كوادرها البشرية وحدد رتبها ورواتبها ووزع مراكزها الجغرافية حول مناطق الولاية الرابعة. غير إن الإدارة الاستعمارية الفرنسية عملت على توسيع دائرة الحرب باستخدام أساليب قمعية شملت استهداف الطواقم الطبية ومستلزماتها من الأدوية والوسائل الطبية سواء بإصدار قوانين المنع والتسويق والحجز والنقل وتدمير

* - أستاذ باحث في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الشلف، الجزائر.

المخابئ وقتل الأطقم الطبية ونزلائها من المرضى والجرحى في مشهد تجاوزت فيه عنجهية المستعمر مبادئ الإنسانية وأثرت على السير الحسن لأداء تلك المصالح الصحية بين الثوار والسكان على السواء.

**Abstract :**

The sanitary services in the fourth historical département witnessed noticeable weakness in equipement and management between 1954-1956 in which the focus was based on how to break out the revolution and gathering weapons and involved algerian people categories to spread out the revolutionnary act popularly and geographically. However ; taking care of ALN injured and sick elements did not exceeded individual initiatives or asked for help from their relatives who had national tendancy within hospitals and pharmacies or looked for popular medicine at best.

In the beginning of 1956 the sanitary sector emerged and evolued especially after many students –specialized in medicine and nursing – joined the revolution during 19-15-1956 Strike, in different sanitary centers which were attached to main commandement in fourth historical departement. The sanitary services started improving systematically and geographically after the eight day strike 1957 and Soummam summit 20-08-1956 which structured sanitary services and categorized the human leaders and defined their salaies and ranks and also distributed their centers in various zones around fourth departement . on the other side the french colonial administration reacted severely by demolishing medical shelters killing many patients and their staffs and by issuing laws that restricted and banned circulation , commercialization of médicine the fact which exceeded all human principals and affected the well-management of medical actions for both soldiers and algerian population.

**مقدمة:**

لم يرافق اندلا ع الثورة التحريرية تنظيما صحيا يواسي الحصيلة البشرية إلا من بعض المتمرسين ذو التكوين البدائي الذين التحقوا بالجبال إثر الإضراب الطلابي العام في 19-05-1956 حيث بدؤوا في تشكيل النواة الأولى للصحة في الثورة وعكفوا على

تقديم الإسعافات الأولية الضرورية للجرحى من الثوار لتنتقل الى السكان في القرى والمداشر ثم أخذت العملية في التوسع والانتشار لتشمل كل مناطق الوطن.

## 1- الواقع الصحي في المنطقة الرابعة:

لقد كان الطابع المميز للفترة 1954-1956 في النظام الصحي بالمنطقة الرابعة هو اكتفاء كل ناحية أو قطاع بإمكانيتها المحلية؛ فكان استعمال الوسائل المادية العارضة والمؤقتة هي السلوك الشائع بين الثوار. أما عن الجانب البشري فتمثل في أعوان قليلي الخبرة وذو معرفة محدودة بأمور التمريض التي اكتسبوها لدى ممارستهم للنشاط الكشفي أو عن طريق التدريبات السريعة[1].

إنّ الوضع العام المحلي والخارجي الذي انفجرت الثورة التحريرية العمل، جعل قادتها يسابقون الزمن بالتركيز على التنظيم والهيكلة البشرية والمادية من أسلحة ومتفجرات وقنابل جعل ولا يولون وسائل التمريض الأهمية الكبرى إلا بعد أن لاحت مظاهر الخسائر البشرية من جرحى ومرضى جراء العمليات العسكرية الأولى في نواحي المنطقة فطلت برأسها مشاكل جديدة رافقت تطور الكفاح المسلح تخص مستلزمات العناية الصحية كالأدوية والضمادات ووسائل الجراحة البسيطة وكيفية التكفل بالجرحى والمرضى وطرق نقلهم وعلاجهم و إيوائهم في ظل الافتقاد الكلي للأطباء إلاّ من بضعة ممرضين وممرضات ومسعفات[2].

أمام هذا الواقع الصحي المتردي، باشرت قيادة المنطقة الرابعة الاتصال بأطباء وممرضين متطوعين للذهاب إلى الجبال سرا لمعالجة عناصر جيش التحرير الوطني ثم يعودون إلى أماكن عملهم خوفا من اكتشاف السلطات الاستعمارية أمرهم[3]. وفي بعض الأحيان يحولون بيوت المناضلين الذين ليست لهم سوابق عدلية مع الشرطة أو الجيش الفرنسي الى المصحات لمداواة هؤلاء العناصر[4].

وباتساع النطاق الجغرافي للثورة، أقدمت الإدارة الاستعمارية على اتخاذ إجراءات لمراقبة المواد الصيدلانية لحرمان المجاهدين من العلاج الضروري والكافي[5]، إذ جاءت تلك الإجراءات في شكل مراسيم وقعها الحاكم العام في الجزائر جاك سوستال[6] يوم 24 أكتوبر 1955 تؤكد على تحديد الأدوية المسموح بها مع وجوب التصريح شهريا بالكميات التي بحوزتهم في الصيدليات وتبرير الحصة التي تم بيعها في الشهر السابق ومن هذه الأدوية المسموح بها:

(Acide nitrique, Nitrates, Acide picrique, Chlorate. Permanganate de potassium, Soluté de peroxyde d'hydrogène, iode, glycérine, charbon activé , charbon animal purifié ou non).

ثم دعم المرسوم الأول بمرسوم آخر مكمل له في 21 نوفمبر 1955 أكثر صرامة مؤكدا في مادته الثانية يمنع الملكية أو البيع أو النقل أو التجارة بالأدوية المذكورة في الجدول التالي[7]:

| **Antibiotiques** | **Sérums** | **Homo Statiques** |
|---|---|---|
| Pénicilline | Sérum Antitétanique | Adrénaline titracaine |
| Auréomycine | Sérum Anti-gangreneux | Arhémapectine |
| Extencilline | Hémopasma | Adrénaxil 1500 |
| Erythromycine | Plasma gel | Bu Fox 2 injectables |
| Flocilline | Subtosan | Coal gan médical |
| Revamycine | / | Hémocoagulène |
| Terramycine | / | Hémostatiques ERCE |
| Typhomycine | / | K/trombyl injectable |
| Tétracycline | / | Trombase 100/500 |

لقد منع عن الجريح والمريض الجزائري دواء الالتهاب والإثير والكحول والحقن المضادة للكزاز إلا بعد أن يقدم للصيدلي المعلومات الشخصية عن المريض والمرافق له،

وآليا حكمت عليه القوة الاستعمارية أن يكابد نزاع الموت المرعب، فكم من أسر شهدت المجاهدين الجرحى يموتون بالكزاز موتا فظيعا[8].

في ظل الضغط العسكري الفرنسي المتواصل والتضييق على التمون بالأدوية ومضايقة الصيادلة والأطباء في المنطقة الرابعة، بدأ المتعاطفون مع جبهة التحرير الوطني في استقبال الشبان والشابات بشكل سري للغاية كعمال في قاعات العلاج لديهم وتدريبهم بشكل سريع ومركز على أسس تقديم الإسعافات الأولية ووضع الضمادات والحقن في العضلة والأوعية، والبعض الآخر تلقوا تكوينهم في مدارس التمريض بالعاصمة ثم التحقوا بالثورة[9] بحيث شكلوا نواة التنظيم الصحي في المنطقة الرابعة منذ 1955 واتخذت العملية شكلا سريعا نظرا لظروف الحرب والحاجة الملحة لأفراد السلك الطبي وبمعدات بسيطة لكن ما لبث أن تطور شكل التكوين ومضمونه لتصبح أكثر دقة وتنظيما[10].

ونظرا لنقص الأدوية جراء القوانين الصارمة على الصيدليات، بدأ الجزائريون في المدن يعهدون بمشترياتهم من الأدوية إلى أحد الأوروبيين لاقتنائها تفاديا للشبهة إذ لم يعد العلم في خدمة الإنسانية في المستعمرة الفرنسية !.

لئن كانت غريزة البقاء أقوى من ضغينة الفناء هي ما جعلت حرمان الجزائري من 100 غرام من القطن المعقم أن يلجأ إلى تضميد الجروح بالماء الدافئ وممارسة البتر دون إثير[11] وفي الغالب لجأ معظمهم إلى الطب الشعبي[12] أملا في الشفاء في تحد لا يقوى على صبره إلا الصادقون في الكفاح حيث صرح فرحات عباس سنة 1958 قائلا: " نفضل أن نكون 10 مليون جثة على أن نكون 10 مليون خاضع "[13]، وهي الإرادة التي برهن عليها الثوار في ترتيب مؤتمر تنظيمي سيمكن الثورة من مؤسسات وهياكل وقوانين تتخطى بموجبها الحالة المزرية.

## 2- قرارات مؤتمر الصومام وتنظيم المصالح الصحية في الولاية الرابعة

بانجلاء الالتباس الذي رافق اندلاع الثورة، وخروج هذه الأخيرة من عقدة الإخفاق إلى تحقيق إنجازات عسكرية وسياسية في الداخل والخارج مكنتها من الشمولية والشعبية عندها بدأ استيعاب مختلف شرائح المجتمع في مصالح جبهة وجيش التحرير الوطني تماشيا مع تطبيق قرارات مؤتمر الصومام إذ عملت قيادة الولاية الرابعة على إدماج المثقفين الوطنيين من طلبة وطالبات في مهام خاصة لإعطاء مردود أحسن في الصحة[14] بل شدد على تنظيم الخدمات الصحية بشريا وماديا من جراحين وأطباء وصيادلة بالتنسيق مع المستشفيات ومراكز العلاج وتوفير الأدوية، الضمادات وعلاج الجرحى والمرضى من عسكريين ومدنيين[15].

ولأهمية القطاع الصحي في تعزيز العمل الثوري، فإنه وضع تحت إشراف قائد الولاية مباشرة باعتباره مسؤولا سياسيا عسكريا إلى جانب مصلحة الدعاية والإعلام ومصلحة الاتصال[16]، وجعل من مهام المسبل التموين بالأدوية و الاعتناء بالجرحى[17]، وتكليف المحافظ السياسي بجمع الأدوية ووسائل الجراحة[18]، مما أكسب القطاع الصحي اهتماما شاملا ووحيويا في هرم الولاية في قسمها العسكري والمدني وإلحاقه بكل صنف من الهيئات لطبيعته الإنسانية والأخلاقية لأمة مكافحة ومتحضرة.

وفي سياق أخر دعا المؤتمر المجالس الشعبية العاملة في الأرياف إلى تسيير شؤون السكان من إحصاء، جمع الاشتراكات، البحث عن ينابيع الماء، تأمين وسائل معيشة الشعب والسهر على صحتهم، بإيفاد الممرضين والممرضات إلى كل منزل في البادية وتوزيع الأدوية ومعالجة لأمراض [19] كما خصص المؤتمر لإطارات المصالح الصحية رواتب بناء على الرتب العسكرية في التوصيف على النحو التالي:

أ – الأطباء راتبهم مثل الضابط الأول : 4500 فرنك فرنسي قديم (ف.ف.ق).

ب- مساعدو الأطباء مثل الملازم : 2500 ف. ف . ق .

ج- الممرضون والممرضات مثل العريف :1500 ف . ف . ق[20] .

وبهذا التنظيم المادي والبشري والتشريعي سارعت الولاية الرابعة الى التكفل الجاد بالخدمة الصحية في مواقع عديدة بين الثوار والسكان في ظروف حرب إبادة لا يقوى على تحمل ألامها الطاقم الصحي بمعزل عن بقية الهياكل الثورية الأخرى .

**3-جهود الولاية الرابعة في تنظيم القطاع الصحي وسط الحرب المستعرة:**

ولأهمية القطاع الصحي الإستراتيجية في الثورة لم تدخر الولاية الرابعة جهدا في تنظيمه وهيكلته، موكلة هذه المهمة لطلبة الطب الذين التحقوا بالثورة اثر إضراب الطلبة الجامعيين والثانويين العام 19-05-1956 وإلى مجموعة الأطباء في العاصمة، البليدة، المدية وشرشال والأصنام، وسيتدعم أكثر بعد إضراب الثمانية أيام في جانفي 1957[21].

ولهذا الغرض نظم ملتقى بعد مؤتمر الصومام بجبل الزبربر في المنطقة الأولى، ضم إطارات السلك الطبي على مستوى الولاية الرابعة لوضع تنظيمات صحية تتماشى وقرارات المؤتمر وإمكانيات الولاية، إذ صار لكل منطقة مركزها الصحي وطبيبها الخاص ولكل ناحية وكتيبة ممرضها:

- المنطقة الأولى : يشرف عليها الطبيب سعيد حرموش، سنة رابعة طب.
- المنطقة الثانية : يشرف عليها الطبيب إسماعيل دهلوك محفوظ ، سنة خامسة طب.
- المنطقة الثالثة : يشرف عليها الطبيب يوسف الخطيب[22]، سنة ثانية طب.

بفضل هذه الإطارات تكونت المراكز الصحية كمركز أولاد بني عصمان في جبل الزبربر ومركز تمزقيدة بين موزاية والعفرون[23]، كما أقيمت بعض المراكز داخل المدن أو قريبة منها لتسهيل عملية تزويدها بالأدوية وتنقل الأطباء والممرضين إليها مثل ما قام به

الطبيب زميرلي وبيار شولي[24] في مركز بن ونيش في برج الكيفان، رفقة الممرضة مريم بن محمد[25].

لقد شهدت شبكة النظام الصحي تنظيما محكما ومرنا قبل 1957 لأنّ الشعب كان موجودا في كل مكان ووسائل الاتصال والتموين متوفرة وتصل في وقتها وبكمية لا بأس بها سواء من الصيدليات أو المصحات أو من عند الأطباء زيادة على الأغذية والتبرعات التي يسديها المواطنون دعما للثورة التحريرية [26].

والأكيد أن التضامن الفعال بين الشعب والمجاهدين هو الذي أفشل مخطط فرنسا في القضاء على الثورة مما دفع بالقيادة السياسية والعسكرية الفرنسية إلى شن الحرب على المدنيين الذين أصبحوا ضمن نطاق العمليات ودائرة الحرب فقد أرسل بيار منديس فرانس رسالة إلى الحاكم العام قي مولي بتاريخ 23-05-1956 يشير فيه إلى خطر التضامن بين الجماهير والمتمردين ولا بد أن تقوم العمليات العسكرية بقتل التمرد في النفوس[27].

بناء على ذلك سارعت الإدارة الاستعمارية إلى تكثيف عمليات التفتيش والمراقبة داخل المدن و خارجها فقام جيش التحرير الوطني بنقل المصحات إلى المخابئ الآمنة في الجبال سنة 1957 وتكفل طلبة الطب بالإشراف على المراكز الصحية و الإشراف على الممرضين والمسعفين للقيام بالعمليات الجراحية للمجاهدين[28]، حيث قام يوسف الخطيب (سي حسان) بتولي تلك المهام في مناطق و نواحي الولاية الرابعة بين 1956- 1958 [29]، ونفس الشيء من قام به أطباء أجانب متعاطفين مع الثورة كالطبيب شولي (فرنسي مسيحي تقدمي) الذي عالج جرحى جبهة وجيش التحرير الوطنيين[30].

الآن ويندمج في الجماعة الوطنية بصفته مسؤول في المصلحة الصحية وعضو هام في الجهاز الثوري و يصبح قطعة من اللحم الجزائري ولم يعد يوصف بالطبيب فقط

و إنما طبيب"نا " وخبير"نا"[31] لما يتركه من الأثر السيكولوجي الايجابي في نفسية المجاهدين، فشعور هؤلاء بأنهم محاطين بجهاز طبي متماسك يزيدهم ثقة وصمودا أثناء قيامهم بالعمليات العسكرية[32]، وفزع الاستعمار الفرنسي من انضمام الطبيب إلى صفوف المجاهدين واعتبره نكسة لمشروعه التعليمي والحضاري [33] في الجزائر فعمد إلى توظيف أسلوب الفاشلين باستخدام العنف إلى أبعد حد.

## 4-القمع الفرنسي ضد النظام الصحي بالولاية الرابعة التاريخية:

انسجم الرد العسكري الفرنسي مع مواقف المسؤولين السياسيين والعسكريين بمختلف مؤسساتهم ورتبهم وتناغم مع عويل المعمرين وتهويل الصحف المتطرفة مثلLe Journal d'Alger وذهب إلى أبعد من القمع بل استئصال ودفن التمرد حيث يولد، وما توحي به هذه العزائم هو الإسراع في التعبئة وتوفير إمكانياتها المادية والبشرية وتنظيمها وتكييفها حسب الوضع المناسب لها لاستئصال وحدات جيش التحرير وردع السكان. ونالت المنطقة الرابعة الحصة الأكبر من الأجهزة القمعية لتحقيق الهدف :مثل الفروع الإدارية المختصة[34]، الفروع الإدارية الحضرية[35]، أجهزة الحماية الحضرية[36]، مصالح التربيع والعمل البسيكولوجي للمكتب الخامس[37]، المفرزة العملياتية للحماية[38]، مكتب الدراسات والاتصالات[39].

بدأت هذه الأجهزة عملها مبكرا 1955 وهي مراكز للضغط النفسي والاستنطاق والاستعلام والتعذيب تحت قيادة جنرالات أمثال جاك سوستال، سالان[40] وشال، مست الريف والمدينة وكلا الجنسين ومن جميع الفئات. ووضع عمل هذه الأجهزة القمعية تحت الأوامر والمراسيم الحكومية لسلطة الاحتلال في ظل تعميم حالة الطوارئ على كامل التراب الوطني 30 أوت 1955 وتخويل القوات الأمنية والعسكرية كامل الصلاحيات لتسليط القتل والعقاب الجماعي في نقاط التوتر.

وأضاف مرسوم 17 مارس 1956 تحت رقم 274/56 للوزير المقيم بالجزائر روبيرت لاكوست سلطات أوسع ضد الجزائريين من أجل ضمان الأمن وحماية الأشخاص والممتلكات والإقليم، وفي فترات مختلفة وأمكنة متباينة عن طريق الحصار والاعتقال العشوائي دون قرار قضائي، والمداهمات وتشكيل المناطق المحرمة[41] ترافقها عملية ترحيل الناس من الأرياف إلى المدن في ظروف مهينة وسيئة للغاية، إذ نزح نحو العاصمة 200 ألف شخص ونحو المدية 22 ألف[42].

أمام هذا القمعي الفرنسي تزايدت مراكز التعذيب في مدينة الجزائر وضواحيها بشكل خاص والمنطقة الرابعة عموما نذكر منها: الملعب البلدي في العناصر (رويسو)، حوش Perrin في بئر خادم، حوش Altairac في الحراش وحوش Bernable في بوفاريك[43].

لقد اتبعت أجهزة القمع أساليب لا إنسانية في تعذيب المناضلين والمجاهدين والمدنيين بغرض الضغط النفسي( انتهاك أعراض النساء والتعدي على شرف المناضلين ) لاستخلاص المعلومات أو تجنيدهم ضمن حركات مناوئة ضد جبهة التحرير. ومن طرق إبادة الجزائريين"يجب أن تكون عملية التعذيب (إنسانية ) أي يجب أن تنتهي حالما يصرح الشخص المعذب بما يطلب منه وألا تترك العملية أي أثر بالجسد وهذا لا يتحقق إلا باستعمال الماء والكهرباء اللذين لابد منهما في كل عملية تعذيب " ومن الطرق الشائعة ما يلي ذكره :

- التعذيب بالملاقط المستطيلة والمسننة كفك التمساح توضع إحداها في طرف الأذن والأخرى في أصبع اليد اليسرى .
- وضع الملقط في العضو التناسلي وتسلط عليه الكهرباء .
- استئصال الأظافر وهشم الأسنان وقطع اللحم بالملقاط وشق الأرجل بالسكاكين.

- وضع الملقط في فم المعذب وسد فمه ثم يشعلون آلة كهربائية بقوة حتى تتقلص عضلات وجهه وتتشنج.
- دق المسامير وسلخ الجلود ووضع الملح في مكان الجرح.
- حشد المعتقلين وإلقائهم في الآبار.
- ربط الموقوف عاريا فوق كرسي معدني يسري فيه تيار كهربائي حتى يتصلب جسده.
- الغطس في الماء البارد والساخن الممزوج بالصابون تناسبيا مع فصلي الشتاء والصيف[44].

وأغلب مراكز التعذيب والتجميع حجتها "عسكرية صرفة " فضلا عن حوادث الاختفاء والإعدام دون محاكمة التي تبرر بالادعاء الكاذب " محاولة الفرار "[45].

كما أن إقامة السجون في البرواقية، قصر الشلالة، عين وسارة دون رعاية اجتماعية أو صحية قد خلق أمراضا كالجنون والسل الذي قضى على العديد من السجناء منهم المسمى الطيب من الشلف في 16-02-1960[46]. ولم تتوقف آلة القمع الفرنسية في حصد أرواح الجزائريين رغم صيحات الإعلام والدبلوماسيين بل تمادت في توسيعه وتعميقه غير آبهة بالأعراف الدولية والإنسانية بعد أن أخذت الثورة أبعادا دولية.

## 5- تطور العمليات العسكرية وانعكاساتها على الصحة بالولاية الرابعة التاريخية:

بعد تزايد النشاط الثوري غير الرعب مواقعه من الريف إلى المدينة ومن الجزائريين إلى غلاة المعمرين، ومن السلاسل الجبلية إلى السهول والسفوح ومن " شرذمة " متمردة إلى ثورة شعبية، تطورات أفقدت العدو الفرنسي توازنه وأجهضت رهانه، فاندفع نحو إعلان حرب حقيقية مفتوحة استخدم فيها كل الوسائل الترغيبية والترهيبية، وجند كل أصناف قواته من جنود نظاميين ولفيف أجنبي وحركات مناوئة لتفكيك

وحدات جيش التحرير ولاحتواء جبهة التحرير الوطني وإخضاع فئات الشعب الأعزل، متحديا الأعراف الدولية والإنسانية ومتنكرا " لبيان إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذي جاءت به الثورة الفرنسية 1789، وحظيت الولاية الرابعة بنخبة من جنرالاتها الذين تناوبوا على إدارة الفشل من فيتنام إلى شمال إفريقيا.

وللموقع الاستراتيجي للولاية الرابعة و قربها من العاصمة وأرضها ثروة حقيقية للمعمرين فقد عملت السلطات الاستعمارية على تركيز قواتها بها ووزعتها على أربعة أقسام وخمسة عشر فوجا، فضلا عن الجيش الاحتياطي الإقليمي والدرك، الحركى والمستوطنين ووزعت تلك القوات كالتالي:

**1- منطقة شمال العاصمة** : يشرف عليها جنرال لأهميتها وتضم قواته:

- الاحتياطات العامة : الفريق السابع ( الميكانيك السريع- DMR $5^{eme}$) ، ينحصر في البليدة، عين طاية و الدار البيضاء ،الفرقة العشرة للمضليين (DP $10^{eme}$) مكثفة بعدة فرق:فرق الزواف (Zouaves $9^{eme}$)، فرق تقنية (Génie)،المشاة (Train)، المناوشون (Tirailleurs)، المدفعية (Artillerie ).

**2- منطقة غرب العاصمة** : تضم ستة قطاعات، الشلف، شرشال، ثنية الحد، مليانة وعين الدفلى.

- القطاع التاسع: المشاة ( Infanterie $9^{eme}$)، المدفعية والمناوشون[47].

**3- منطقة جنوب العاصمة**: تحت قيادة ثلاث جنرالات هم: رويRoy، ديبولي Depoulley، اورفويو Arfouilloux، بها أربعة قطاعات: سور الغزلان، قصر البخاري، عين وسارة، المدية، القطاع العشرون للمشاة ( DI $20^{eme}$ )، المدفعية.

**4- منطقة شرق العاصمة** : تضم بئر غبالو، الأخضرية تتولاها الفرق التالية:

(RIMA $1^{er}$،RA $47^{eme}$) يبلغ عدد جنودها في هذه الناطق بين 160الف و170.500 جندي.

شرعت هذه القوات في صيف1957 في شق الطرقات في الجبال الوعرة قصد التوغل فيها وإقامة مراكز خاصة في قراها، ففي أولاد موسى فتحت 57 مركزا في 60 دشرة و 4 مركزا في شرشال وأما المدن فكانت تحت المراقبة التامة وأحيانا ربطت بأسلاك شائكة[48].

إنّ مهارة جبهة وجيش التحرير في استيعاب وهيكلة الجماهير في المدن والريف فاجأت السلطات الاستعمارية التي سارعت إلى التعامل مع الوضع بوسائل أكثر قمعية وما شهدته الولاية الرابعة من محطات عسكرية لدليل على ذلك بدء من 1957 والتي ستزيد من الإصابات الخطيرة وسط الجزائريين ومن هذه الأحداث:

**أ- إضراب الثمانية أيام و معركة الجزائر:**

انّ الفكرة الكامنة وراء هذا القرار الخطير هو تنظيم احتجاج غير مألوف للفت الرأي العام الدولي إلى القضية الجزائرية بمناسبة مناقشتها في الدورة الحادية عشرة للجمعية العامة واتخذ القرار في نوفمبر 1956 بمقر قيادة لجنة التنسيق والتنفيذ في شارع صالح بوعكوير – تيليملي سابقا- رقم133 [49]. وجاء في الأوامر الداخلية لجبهة التحرير الوطني أنه بمناسبة مناقشة هيئة الأمم المتحدة القضية الجزائرية، على الشعب الجزائري أن يعلن مظاهرة للتعبير عن إرادته في الحرية والاستقلال في كامل التراب الوطني بمشاركة جميع الطبقات الاجتماعية في عمل ميداني وعنيف ضد الاستعمار والذي لقي لدى بعض العناصر التعاطف والتضامن لتعزيز قوتنا الثورية والتجديد الحقيقي للتجربة الأولى من أجل الثورة العامة[50].

لقد تم تحديد تاريخ الإضراب 28-01-1957 الى 04 -02-1957 ليأخذ مظهرا سياسيا سلميا بإشراك الاتحاد العام للعمال الجزائريين في عملية الدعاية للإضراب وتسييره بدعوة عمال الداخل بالذهاب إلى قراهم ودعوة السكان بالتموين لمدة عشرة أيام وغلق التجار لمحلاتهم وعمال الميناء هجروا عملهم وتوقف عمال الإدارة والفنادق والترامواي عمال القطار عن العمل[51] وعندئذ أصبحت المدن عبر الوطن ميتة وانعدمت الحركة إلا من

الجيوش الفرنسية وأعوانهم للترقب وانتظار الأوامر.

ومن الجانب الفرنسي، تولى الجنرال ماسو قيادة قوات معتبرة متكونة من أربعة كتائب مظلية لتمشيط العاصمة وكسر الإضراب وتفكيك ورشات القنابل هي:

1- كتيبة أجنبية للمظليين 1er REP تحت إشراف المقدم Jean pierre.

2- كتيبة المظليين الاستعماريين2emeRPC بقيادة العقيد Fossy-Francois.

3- كتيبة المظليين الاستعماريين 3 eme RPC بقيادة العقيد Bigeard .

4- الكتيبة التسعة للزواف للمقدم Marey .

بالإضافة إلى ثمانية فيالقCRS، فيالق الجمهورية للأمن، عشر فرق للدرك المستقلة، 1800/1700 شخص للوحدات الإقليمية للعقيد Thomazo، جنود مصالح الاتصالات والمشاة وفرق الاستخبارات العامة، الشرطة القضائية، حراس السلام سيطبقون البربرية والموت على السكان واستطاعوا احتلال ومحاصرة العاصمة خلال شهر جانفي 1957 [52].

ويقول بن خدة " أنه بعد 48 ساعة من بداية الإضراب، تغيرت الحالة جذريا وفقدنا المبادرة بفعل تدخل قوات ماسو، بيجار وقودار وأخذت فراغا من حولنا "[53] إذ تم الاستخدام المفرط للقمع الوحشي للسكان والإيقاف العشوائي والحجز الإداري والتعذيب الذي خصصت له مواقع مدنية وعسكرية وتربوية وتكليف "نخبة سادية " مختصة في فن التلذذ بآلام الناس ومن هذه المراكز المنتشرة في العاصمة وضواحيها وبقية أنحاء الولاية الرابعة مثل: مدرسة سوراي في سوسطارة تحت إشراف بيجار، مدرسة الصم – البكم بتيليملي، المدرسة الابتدائية للمرادية، الابيار، باسطا و بلوزداد والحراش وفي الثكنات العسكرية على غرار ثكنة empereur fort في سكالا مخصصة للتعذيب بالنار والكي والشوي وثكنة 19 régiment génie بالخروبة تحت قيادة العقداء fossy

François – château jobert. وثكنة الاتصالات ببن عكنون وثكنة DST في بوزريعة وعمارة Sesini في ساحة الشهداء وعمارة Anisettes gras في الحمامات[54].

بالإضافة إلى مواقع استخدمت كورشات لممارسة التعذيب بوسائل لا أخلاقية ولا إنسانية ضد الجزائريين المدنيين العزل للضغط باتجاه تحويل المسار التضامني مع الثورة مثل: تابلاط، المدية، البرواقية، شرشال، تنس، ثنية الحد وغالبا لم تكن هناك أمكنة تخصص لتنفيذ الجريمة وإنما تكفي توفر الوسائل والجلاد لتجرى في عين المكان وفي الجانب الآخر من التبعات التي كلف إضراب الثمانية أيام الجبهة تفكيك شبكة التموين بالأغذية والأدوية وتدهور نظام الفداء وبالتالي حرمان الولاية من قاعدة لوجستية هامة[55].

ومما سبق ذكره فإن الأزمة الإنسانية تعمقت الواقع الصحي تدهور وفقد دوره في مدة قصيرة إذ لم يمض على إرساء الشبكة الصحية سوى بضعة أشهر مما جعل جيش التحرير الوطني والسكان على السواء يكابدون الألم لفترة طويلة وصعبة لكن فرار العديد من الإطارات من مدينة الجزائر قد وفر للقطاع الصحي كوادر بشرية مهمة لتنظيم مصالحه جاؤوا من نقاط مختلفة من المدن ومن طبقات اجتماعية متباينة ودخول النساء إلى الجبال[56] واستخدامهن في التمريض والتموين واستمر الصراع بين القوات الاستعمارية وجيش التحرير قويا على احتلال المواقع في المدينة لإدارة المعارك لتتحول السلاسل الجبلية في الولاية الرابعة إلى منازلة بين الطرفين عبر مخطط شال مما ضاعف من متاعب الطاقم الصحي وإمكانياته الطبية.

**ب– عمليات شال في الولاية الرابعة**

تضاعفت العمليات العسكرية في عهد الجمهورية الرابعة بقيادة موريس لاكوست صاحب مقولة " الربع الساعة الأخير " ووزير الدفاع أندري موريس، القائل

" نتوقع ميدانيا، في الأسابيع الأخيرة من 1957، طلب المتمردين بوقف إطلاق النّار "، لذا سبقت عمليات شال[57] في الولاية الرابعة عمليات عسكرية كثيرة فمخطط شال العسكري من حيث طبيعته هو امتداد لعمل سالان لكنه يختلف عنه في كونه حصل على دعم حكومي، إذ صرح شارل ديغول بمناسبة تعيينه لشال " قبل ذهابه إلى الجزائر، تدارست معه المشروع ووافقت عليه، ويتوقف عليه اختيار الوحدات التي تقوم بالعمليات الهجومية، ودعمه بالعتاد والرجال لتبدأ العملية في ربيع 1959"[58].

تولى موريس شال عمله كقائد للقوات المسلحة في الجزائر 19-12-1958 بمشروع عسكري طموح للقضاء على الثورة تحدوه ثقة مفرطة وغرور كبير في سحق وإبادة مجاهدي جيش التحرير من خلال عمليات مباغتة بدأت من 18-04- 1959 إلى 08-06- 1959 [59].

أعد شال تعزيزات بشرية ومادية كبيرة، إذ بلغ عدد جنوده 40 ألف اللواء العاشر لماسو[60]، طائرات مطاردة ومقنبلة (B29، B26) ، الطائرات العمودية والاستكشافية، وتنفيذ عملية التطويق بإنشاء مراكز عسكرية جديدة وشق الطرق للولوج إلى المناطق الوعرة كجبال الونشريس، المدية، الأطلس البليدي والظهرة وتجميع السكان في المحتشدات والقضاء على الذين بقوا منهم في المناطق المحرمة وترك فرقة من الجنود الفرنسيين أو كومندو الملاحقة أو المطاردة لحراسة تلك المناطق[61] ودعم السدود المكهربة على الحدود الشرقية والغربية وأضيف سدا باسمه إلى خط موريس[62] لقطع التموين عن الداخل من سلاح وأغذية وأدوية وجعل المعركة في مجال مغلق.

ورسم أربع محطات: أ- تعديل تحصين الحدود،ب- متابعة الكتائب والقضاء عليها، ج-القضاء على التنظيمات السياسية والإدارية لجبهة التحرير، د- إقامة المكاتب الإدارية المتخصصة والدفاع الذاتي، ويتم الانتقال السلس بين المحطات وفق

العمليات التالية[63] :

– ضرب وحدات جيش التحرير في نقاط محددة مستخدما وسائل عسكرية مكثفة وضخمة لإحداث الصدمة والنيل من معنويات المجاهدين و السكان.

– ضرب المجاهدين بقوة في مساحة واسعة لمدة طويلة ترافقها عملية اختراق صفوف جيش التحرير بالاعتماد على فرنسيي شمال إفريقيا " Français de souche Nord – Africaines".

– تقوية الحصار حول المخابئ وإرساء نقاط المراقبة في المناطق الحساسة وعزل السكان في محتشدات ومنح كومندو الملاحقة صلاحية الإشراف عليها، مما خنق التموين بالأغذية والأدوية واستفحال مظاهر الجروح والمرض للمجاهدين والمدنيين على السواء.

– استخدام القصف الجوي بالقنابل المحرمة دوليا " النابالم " لمدة 15 يوما دون توقف[64]، والتي أصابت الكثير منهم بالموت أو التشوهات لحد الساعة مثل المجاهد الحاج بلقاسم عبدوس من الشلف الذي لازال يعاني من آثارها.

– تسليط التعذيب على كل أسير من جيش التحرير أو مختطف من السكان مما عرض أجسادهم إلى عاهات وأثار مستديمة وفقدان توازنهم النفسي جراء الممارسات التي فاقت الحدود.

– القضاء على المنظمة المدنية لجبهة التحرير وحرمان المجاهدين من قاعدة لوجستية في الصمود.

– تعزيز وحدات الحركى ووحدات الدفاع الذاتي[65] لبث الشكوك بين الجزائريين وإجهاض الثورة.

– التوجه إلى المقاتلين ومحاولة إغرائهم بعبارة " سلم الشجعان " والتفاوض مع العسكريين دون السياسيين.

– إقحام أجهزة قسم الدعاية النفسية لإضعاف النفوس وتثبيط العزائم .

– الضرب بقوة ما يسمى " المرداس – Rouleau compresseur "[66].

بفضل هذا المخطط، حصل شال على الموافقة من شارل ديغول في 27-02-1959، وسميت عملياته في الولاية الرابعة " الحزام "، وفي الولاية الثالثة " المنظار "[67] لأنّ هاتين الولايتين تملكان شخصيات مهمة وتحتلان أهمية جغرافية [68] ، وقال بشأن برنامجه " عماذا نتكلم ؟ لقد نشر المتمردون منظمتهم في كامل الجزائر أصبحوا أمنين في الجبال، سأنشأ كومندو مطاردة من عناصر مسلمة لتشكيل كتيبة قوية، ويكون هذا الكومندو مدعوما بوحدات القطاع لتعطي الأوامر، أما الطيران فيكون عيونهم، ويضمن المناورة في الجبال ويعوض علينا التدريب بأقل جهد... قررت وضع هذه الأعداد الهامة في مناطق جبلية واسعة ولتقوية عملياتها، تبدأ قواتي "الاحتياطات العامة " وظيفتها في الجبال السهلة والهادئة لتشكيل "كرة ثلج" لتضخيم الاحتياطات العامة، وفي هذا التدمير لابد من استغلال جهود الكل والوسائل الأفضل نفعا هي "الجوسسة المضادة العملياتية " التي ينفذها مركز التنسيق بين الوحدات ( Centre de coordination inter- armées) [69].

وتولت الفرقة العاشرة المضلية لماسو تطهير الونشريس، الظهرة ، التيطري، الاطلس البليدي بضربة واحدة وإلقاء المناشير من مارس إلى جوان 1959 شملت المنطقة الرابعة والسابعة من الولاية الخامسة واستخدمت الطائرة المطاردة ( مراج ) والمقنبلة B26 ، B29، بيبرت T6 الطائرات المروحية وأقحمت القوات البحرية على طول السواحل للولاية لتطويقها بحزام عسكري courroieبعد اكتشاف خلية التجسس بفضل التعاون بين أربع كتائب نزحت من الولاية الخامسة إلى الولاية الرابعة وأصبحت تضم كومندو جمال، الزبيرية، الكريمية، الحسنية ( أكثر من 1000 مجاهد ) فحاول محو النكسة بتجديد العمليات خاصة في الونشريس بعد فشل مهمة الإليزي

مثل متراك (Matraque) في مارس 1960 وعملية La cigale في 22 جويلية 1960 [70]

قد تولى سي محمد بونعامة قيادة الكتائب لمواجهة العدو وإحباط مؤامراته لتغيير موازين القوى بتفكيك الكتيبة إلى فرق صغيرة وإخلاء الجبال لإنهاك العدو من الخلف والمواجهة في السهول ضواحي المدن ضرب المناطق الحضرية بتنظيم الفداء في المدن وإفشال المخطط التجسسي (سلم الشجعان) في مارس 1959 بموافقة سي أمحمد بوقره، قائد الولاية الرابعة، وتطويق الخطر في المنطقة الرابعة والسابعة في الولاية الخامسة المجاورة وقد ترتب عن هذا المخطط العسكري الرهيب تبعات مست قدرات العسكرية والبشرية والاجتماعية للولاية الرابعة من غذاء ودواء ومنها:

1- استشهاد 3000 جندي 1959 بعدما كان عددهم 9000 ومنهم سي أمحمد بوقرة.

2- صعوبة الاتصال بين المجاهدين والشعب [71]، و بالتالي حرمان أولئك من المؤونة و زادهم الجوع والعطش والتعب إنهاكا و وهنا وتدنى المستوى الصحي بشكل فظيع بسبب تدمير خمسة مخابئ هامة للأدوية وثلاث مصحات[72].

3- إلغاء المناطق المحرمة 1959 والاحتفاظ بمراكز التجمع لقطع الشعب عن الثورة ومصادرة التموين والاشتراكات عن المجاهدين[73].

4-لجوء العدو إلى إبادة المدنيين وتدمير قراهم و تهجير هم إلى المحتشدات[74] بمناطق موحشة، مما سمح ببروز الوفيات بين الأطفال والأمراض المزمنة بين الشيوخ.

5-استشهاد الكثير من الممرضين والممرضات واكتشاف العديد من المراكز الصحية[75] واستشهاد الطبيب آيت ايدير وأصيب الطبيب بن سونة برصاصة في عينه وهو يعالج أحد الجرحى ونقل على إثرها إلى المغرب للعلاج[76].

6-استشهاد العديد من الجرحى و المرضى إذ تم الإجهاز بدم بارد على ثلاثين جريح رفقة ممرضهم في باب البكوش في ماي 1958 [77] وفقدت الولاية الرابعة جراء هذه

العمليات ما يعادل في مجموعه 45 بالمائة من قوة الولاية بشريا[78].

7-خروج بعض طلبة الطب لإتمام دراساتهم سنة 1958: جيلالي رحموني، مولاي بن سونة، حرموش ارزقي ماعدا يوسف الخطيب الذي كلف بتسيير مصحة في الونشريس لمدة طويلة[79].

8- تعاظم عدد الجرحى وندرة الدواء بفعل المراقبة والتفتيش وملاحقة الأطباء الأوربيين المتعاطفين مع الثورة.

9-وقوع الطبيب إسماعيل دهلوك في الأسر[80] قد حرم الولاية من كادر بشري مهم سيترك أثره في الميدان.

وكان ذلك القمع المستهدف للمواقع والإطارات الصحية انتهاكا صارخا للقانون الدولي والإنساني ويتعارض مع بنوده جملة وتفصيلا مع نص لائحة لاهاي لسنة 1907 واتفاقيات جنيف لسنة 1949 وما بعدها"[81].

**ج– عمليات المنظمة العسكرية السرية (OAS )**

بدأ المعمرون في تشكيل الحركات المتطرفة مبكرا للحفاظ على امتيازاتهم ودعم سياسة "الجزائر الفرنسية " وظهرت إلى الوجود حركات مختلفة العناوين موحدة الجوهر كانت تمهيدا لظهور المنظمة، مثل:

منظمة المقاومة من اجل الجزائر الفرنسية (ORAF) ،الحركة الجزائرية السرية للمتطرفين Massu المقاومون السريون الفرنسيون (RCF)،الجبهة الوطنية الفرنسية (FNF)،الجبهة من اجل الجزائر الفرنسية ( FAF)[82].

خاب أمل المستوطنين في الجمهورية الفرنسية الخامسة ويئسوا من سياسة ديغول في القضاء على الثورة وأصبحوا قاب قوسين أو أدنى من ضياع حلم الجزائر الفرنسية؛ فأسسوا المنظمة العسكرية السرية في نهاية فيفري 1960، التي تتشكل من:

– مدنيين: سيزيني، لاقيارد، المعمرون الكبار ملاكي الأراضي والمناجم، ومن حركة الباشاغا بوعلام وعلى رأسهم ابنه محمد بوعلام.

– عسكريين : سالان (تكفل بتنظيم فروع المنظمة في قسنطينة وسكيكدة )، جوهو (تكفل بتنظيم فروع المنظمة في وهران)، ماسو (اشرف على تنظيم فروعها في العاصمة والبليدة والأصنام )، زيلر، شال، وعناصر من الشرطة التي تواطأت معهم.

هيكلت المنظمة في الوسط على الشكل التالي:

أ – الضابط Gardes: تنظيم الجماهير.

ب– الضابط Godard: العلاقات العسكرية والتجنيد.

ج– الضابط Jean Jack Susini : النشاط السياسي البسيكولوجي.

د– الضابط Perez: الاستعلامات وضبط العمليات.

هـ – الضابط Roger Degueldre: الإشراف على العمليات العسكرية وعلى الكومندو Delta[83].

ومن وسائل تحقيق هدفها :التخريب الهمجي للمؤسسات الإدارية والاقتصادية والتربوية، القتل الفردي والجماعي وتصفية الإطارات الجزائرية، السلب والنهب للممتلكات الخاصة والعامة، وضع القنابل في الأماكن العمومية كالمقاهي والأسواق ووسائل النقل.

لقد كثفت هذه المنظمة من عملياتها الإجرامية عقب فشل الانقلاب العسكري على شارل ديغول 22-04-1961، متخذة من وهران قاعدة خلفية ومن العاصمة ميدانا لعملياتها، خاصة في الفترة التي أشرفت المفاوضات بين جبهة التحرير الوطني و الحكومة الفرنسية على نهايتها ومن جرائمها في الولاية الرابعة ضد المدنيين والعسكريين والإطارات والمراكز الصحية والمؤسسات الجامعية مايلي:

- شهر مارس 1960: الجرحى 501 والموتى 110.
- شهر افريل 1960: الجرحى 417 والموتى 230 .
- شهر ماي 1960: الجرحى 1379 والموتى 350.

وكان شهر مارس 1962 شهرا حافلا بالعمليات العسكرية من اغتيالات وتفجيرات مست الجزائريين المدنيين ونخبتهم الأدبية والعلمية، إذ قتل مولود فرعون وجزائريين اثنين وثلاثة أوربيين، ودفع شاحنة معبأة بالبنزين من أعالي العاصمة نحو القصبة محدثة خسائر مادية فادحة وتفجير 130 قنبلة في العاصمة يوم 4و5 مارس 1962، وامتدت عن جهتهم إلى مستشفى مصطفى باشا، بتخريب المخبر وثلاث قاعات للعمليات الجراحية ومدرجين وإصابة 43 شخص بجروح وحرق 600الف كتاب بالمكتبة الجامعية في 07-06-1962 [84].

لقد انتهكت حرمة المنازل وقدسية المراكز الاجتماعية والإنسانية ، ففي يوم 3و 4 افريل 1962 قامت عناصر فرقة "دالتا " باقتحام عيادة خاصة في حي بوفريزي وأطلقت النار على المرضى في أسرتهم وعلى الأطباء والزوار ووضعت قنبلة في البناية لنسفها أسفرت عن قتل 10 أشخاص وجرح ثلاثة آخرين وفي سجن البليدة استطاع بعض زبانية المنظمة التنكر بلباس حراس السجن والدخول بفعل التواطؤ مع إدارته وقتل طبيب الولاية الرابعة يحي فارس،كما تم إطلاق قذائف الهاون على الأحياء السكنية في باب الواد و القصبة[85].

إنّ جنون قادة المنظمة وفشل مشروعهم السياسي، جعلهم يركنون إلى الأعمال غير المبررة التي تدينهم، بالقتل العشوائي للجزائريين والفرنسيين في واقع رسمته لوحة " انتفاضة الديك المذبوح "ليستكمل المشهد المرعب مع الذين باعوا ضميرهم ووطنهم.

## د- الحركات المناوئة لجبهة التحرير الوطني

عانت الولاية الرابعة التاريخية من جبهات عسكرية أخرى جزائرية متواطئة، أثقلت كاهلها ماديا وبشريا طيلة سنوات الثورة وتحملت أكثر مما تحملته الولايات الأخرى، فقد ساهمت هذه الحركات من جهتها في تضخيم تعداد الإصابات التي مست وحدات جيش التحرير والمواطنين، خاصة في مناطق الولاية الرابعة والولاية الثالثة، وكانت شوكة في خاصرة المجاهدين ورعب مفزع للسكان، زادت من ثقل المسؤولية على الطاقم الصحي والإمكانيات الطبية ومن هذه الحركات نذكر.

### أ- الحركة المصالية[86] ومحمد بلونيس[87]:

تركز المصاليون في الأربعاء، الرويبة، دوار الريش قرب البويرة، بوغار، الاخضرية وسيدي عيسى[88] والظهرة، الونشريس والشلف[89]. تحالفوا مع الجيش الفرنسي للقضاء على الثورة وترويع السكان وملاحقة جيش التحرير، إذ شهد شرق الولاية الرابعة بين جانفي – أوت 1956 معارك طاحنة بين المصاليين ووحدات جيش التحرير الوطني منها معركة برج أخريص، أولاد عنان، جبل بوزيد وغار الحنش حيث فقد فيها المصاليون 347 جنديا وفقد المجاهدون 78 شهيدا وجريحا على مرأى ومسمع الفرنسيين[90]. وباعتقال فرنسا أعضاء الوفد الخارجي 22-10-1956، أقدم المصاليون على قتل 36 مجاهدا وتعاظم خطرهم 1959 جنوب غرب قصر البخاري حيث ذبحوا 11 مجاهدا من الخلف ولم يكن هؤلاء يحاربون فرنسا فحسب بل كانت حربا مفتوحة مع المصاليين كذلك[91].

وانطلقت عملية تطهير المصاليين من الونشريس بقيادة سي البغدادي وسي محمد بونعامة في نهاية 1956 وبداية 1957 وهذا الأخير يعلم سريرة بعضهم وطريقة تفكيرهم وسلوكهم المتهور، فاستطاع استمالة بعضهم إلى الثورة (قدور سرباح الذي

أصبح مكلفا بصناعة المتفجرات في المنطقة الثالثة من الولاية الرابعة ) ومطاردة الرافضين والمتعنتين في جيوب الونشريس مكلفا الثورة خسائر بشرية ومادية ثقيلة[92].

أما محمد بلونيس فانه أستقطب فلول المصاليين والمترددين وشكل منهم فصيلا عسكريا سماه " الجيش الوطني للشعب الجزائري " تعداده بين 2000الى 3000 جنديا بحيث أوهم العامة من الشعب مستغلا الغموض الذي رافق اندلاع الثورة في تشكيل فرقته العسكرية [93] حيث اشتبك مع جيش التحرير 1955 بين المنطقة الثالثة والرابعة ثم بين الولاية الرابعة والولاية السادسة بعد أن قدمت له فرنسا دعما ماليا، عسكريا وإعلاميا سنة 1957 لتنفيذ الخدمة[94] وهو الأمر الذي ضاعف من التكاليف الصحية في الولاية الرابعة وخرجت عن السيطرة.

**ب– الحركى الآخرون:** تحالف بلونيس مع بلحاج الجيلالي(كوبيس)[95] ووحدة الباشاغا بوعلام[96] في الكريمية لتوافق هدف خيانة الوطن، فقد كون الباشاغا بوعلام جيشا يقوده مهراز بلعكرمي الذي أشاع في السكان تعذيبا وإلقائهم في البئر لتسليط الفزع في نفوسهم وإرغامهم على التجند معه[97].

كما استغل المصمودي جو الثورة و الهلع الذي صاحب أحداثها الأولى في تشكيل جماعة مسلحة شرعت في ترهيب السكان وابتزازهم والسطو على ممتلكات وحرمات الآمنين ( سرقة حلي عائلات من الشلف ) 1956 ومحاربة الثوار في الونشريس لكن فطنة جيش التحرير في إلزامية حفظ الأمن بين المدنيين كمجال حيوي وإستراتيجي لقواعد الجيش جعل سي محمد بونعامة يقوم بتصفيته ليس على مصاليته بل على تعدياته اللاانسانية على الشعب وأدمج بعض عناصره المخلصة في صفوف جيش التحرير[98].

أما الشريف بن السعيدي فإنه جهر بخيانته للثورة و عدائه للشعب الجزائري بتنفيذه لسلسلة من الجرائم ضد جيش التحرير وقادته( تصفية علي ملاح في 31-03-1957 ) وزرع الفتنة الجهوية بين الجنود[99] وشارك الى جانب الجيش الفرنسي في معركة جبل بولقرون في المنطقة الرابعة في الولاية الرابعة في 05-03-1958 أستشهد فيها المدعو سي لخضر ولكبير عبد العزيز وجرحى آخرون في صفوفهم[100] .

لقد بذل قادة الثورة جهودا كبيرة في توفير المستلزمات الصحية لتعضيد العمل التحرري وسط تحديات عسكرية قوية مكنت فئات الشعب الجزائري والثوار من التداوي وعلاج بعض الإصابات والأمراض رغم مراسيم الحظر والملاحقة للوسائل الطبية وإطاراتها التي أدخلت نطاق الحرب إلاّ أنها وفرت الحدود الدنيا التكفل الصحي والإنساني للجرح والمرضى ورسمت مشهدا يدين الحضارة الغربية في الصحف والمحافل الدولية وأيقظت الضمير الإنساني بدعوته الى تسليط الضوء على حرب الإبادة الدائرة في الجزائر التي تقودها دولة تزعم أنها هي أول من رفع شعار"الأخوة– العدالة–المساواة " في العالم كما أعطت دفعا للعمل الدبلوماسي في تعزيز موقف الجزائر التواق الى التحرر بين الدول والمنظمات غير الحكومية.

**الهوامش:**

1. المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954، ملتقى حول كفاح المرأة الجزائرية في مجال الصحة أثناء الثورة التحريرية ، جيجل، 1998، ص04.

2. *Mohamed Guantari , les services de la santé de l'armée de libération nationale pendant la révolution Algérienne (1954-1962),DEA,S/la direction du professeur ANDRE Martel, université Paul Valery, Montpellier, juin 1985, p10.*

3. المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الولاية الرابعة، 1959-1962، التقرير السياسي الجزء الأول، (بدون تاريخ)، ص 57.

4. أمحمد بوحموم، التنظيم السياسي و العسكري في الولاية الرابعة62/56، رسالة ماجيستير جامعة الجزائر، معهد التاريخ 2005 تحت إشراف د: يحياوي مسعودة ، ص144.

*5. Farouk Benatia , op cit , p 47 .*

6. جاك سوستال : ولد في مونبولييه يوم 03-02-1912، درس الآداب و الفلسفة ، له شهادة عليا في الانطولوجيا 1930، انضم إلى قوات فرنسا الحرة 1940 في لندن، كلف بإدارة المصالح السرية لفرنسا الحرة في المكتب المركزي للاستعلام و العمل *BCRA* ثم رئيسا للمديرية العامة للمصالح السرية في الجزائر العاصمة ، عين حاكما عاما في الجزائر 1955-1956 من طرف منديس فرانس، أنشأ 1959 التجمع من أجل الجزائر الفرنسية ، انضم إلى *OAS* وعفي عنه *1968* ، توفي 06-08-1990 .

*7. Hocine Bouzaher ، Algérie 1954-1962, la guerre d'indépendance au jour le jour, édition Houma, Alger, 2004 , p359.*

8. فرانز فانون، مرجع سابق، ص 151.

*9. Mohamed Guantari , Les services , op cit ; p 23*

10. مركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ملتقى حول كفاح المرأة....، مرجع سابق، ص 08.

11. فرانز فانون: مرجع سابق، ص 151.

12. مجلة الجيش: العدد 376، سنة 1994، ص33.

*13. Hocine Bouzaher , op cit, p165.*

*14. M'hamed Youcefi , L'Algérie en marche, tome 2, ENAL, Alger ,1985, p 248*

*15. Benyoucef Benkhedda , Abane-Ben M'hidi : leur apport à la révolution Algérienne,édition dahleb, Alger, 2000, p143.*

*16. Mostefa Khiati , Histoire de la médecine en Algérie , de l'antiquité à nos jours , ANEP , 2000, p 211*

17. ازغيدي محمد لحسن : مرجع سابق ، ص 138 .

*18. MohamedTeguia,l'Algérie en Guerre,OPU,Alger,1988 , p 154 .*

19. ازغيدي محمد لحسن، أزغيدي محمد لحسن : مؤتمر الصومام و تطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1989، ص 141

20. نفسه ، ص 154 .

21. مجلة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، القطاع الصحي في الولاية الرابعة، العدد الثاني، سنة 2005، ص 07.

22. **يوسف الخطيب ( سي حسان )** : ولد بمينة الشلف 19-11-1932 ، تلقى تعليمه الابتدائي بالشلف (الأصنام سابقا ) ثم بثانوية الأمير عبد القادر شعبة العلوم الطبيعية ، تحصل على البكالوريا 1953 وسجل بقسم الطب بجامعة الجزائر. إنخرط في خلية الطلبة التابعة لجبهة التحرير الوطني 1955 وكان يشرف عليها الدكتور نقاش، هدفها تأطير الطلبة و تعبئتهم للثورة. التحق بصفوف الثورة إثر إضراب الطلبة 19-05-1956 ، متوجها الى المدية التي كان يوجد بها الدكتور بوضربة، تمثل دوره في تقديم الدعم الطبي للثورة والإسعافات الأولية للمجاهدين ومعالجة السكان المدنيين في الأرياف والإشراف على تكوين الممرضين والخلايا الصحية في مناطق الولاية الرابعة. عين قائدا للمنطقة الثالثة 1959 التي تزامنت مع انطلاق عملية شال العسكرية في دائرة إشرافه ( الشلف والونشريس ).بعد قضية الايليزي 1960 عين عضوا في مجلس الولاية، وباستشهاد سي محمد بونعامة 08-08-1961 عين خلفا له على الولاية الرابعة . أنظر : امحمد بوحموم : مرجع سابق، ص 49 .وأنظر أيضا : المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 : تاريخ الجزائر، مرجع سابق، قرص مضغوط.

23. عبد القادر ماجن : النظام الصحي بالولاية الرابعة ، مجلة أول نوفمبر : العدد 103، السنة 1989، ص 38 .

24. مجلة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية ، القطاع الصحي ، مرجع سابق، ص 07 .

25. Daniel Djamila Minne :Des femmes dans la guerre, karthala , Alger ,2004, p 44.

26. عبد القادر ماجن : مرجع سابق ، ص 39 .

*27. Hocine Bouzaher :op cit , p 141 .*

28. المنظمة الوطنية للمجاهدين: التقرير السياسي للولاية الرابعة، الجزء الأول 1959-1962، ص76.

29. امحمد بوحموم : مرجع سابق، ص 49 .

*30. Mohamed Teguia , l' Armée de libération nationale en wilaya 4, édition casbah, Alger, 2002 , p 25.*

31. فرانز فانون : مرجع سابق، ص 152 .

32. محمد صايكي، شهادة ثائر من قلب الجزائر، مذكرات النقيب محمد صايكي ،الجزائر، دار الأمة، 2003، ص 159.

33. رابح المغيرية : مساهمة السلك الطبي في ثورة التحرير، مجلة أول نوفمبر، العدد 140-141 ، السنة 1992، ص 30 .

*34. Sections Administratives Spéciales(SAS)*

*35. Sections Administratives Urbaines (SAU)*

*36. Dispositifs de Protection Urbaine (DPU)*

*37. Les services de Quadrillage et d'action psychologique du 5ème bureau*

*38. Détachements opérationnels de protection (DOP)*

*39. Bureau d'études et liaisons (BEL)*

*40. Mohamed Teguia :l'ALN op cit, p104.*

*41. Mohamed Teguia, l'Algérie , op cit,p233/234*

*42. ibid , p 262.*

*43. Hocine Bouzaher , op cit , p218.*

44. محمد الصالح الصديق :مفاخر الجزائر ومخازي فرنسا، مجلة العصر، ملف خاص بإحياء الذكرى الخمسين للثورة، العدد 10، نوفمبر 2004، ص 15.

45. محمد بجاوي : الثورة الجزائرية والقنون 1960-1961، ترجمة علي الخش،دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005، ص 281.

46. رشيد زوبير : جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة 1955-1961، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الثورة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ 2002-2003، إشراف الدكتور بوضرساية بوعزة، ص 94.

47. محمد صايكي : مصدر سابق، ص 274 .

48. نفسه، ص 275 .

49. محمد عباس : مرجع سابق، ص 271 .

50. Benyoucef Benkhedda : Alger , capitale de la résistance 1956-1957 ,Houma , Alger , 2002 , p 137.

*51. Mahfoud Kaddache , et l'Algérie se libéra 1954-1962, Alger, EDIF, 2000 , p 90.*

*52. Benyoucef Benkhedda , Alger, op cit , p 54*

*53. ibid , p 91.*

*54. ibid .*

*55. Djilali Sari , Huit jours de la bataille d'Alger,ENAL ,ALGER , 1987 ,p 112*

*56. Saad dahleb , Mission accomplie , Dahleb, Alger , p 74 .*

57. مثل عملية ( Champagne ) بقيادة ماسو في العاصمة في جانفي 1957، ثم عملية ( Diabolo Ouest ) في 10-01- 1957 لضرب كومندو التيطري، الزبربر وبوزقزة تلتها عمليات أخرى مثل (Pittoresques ) ( Ambiance ) بقيادة بيجار في الاطلس البليدي ضد جيش التحرير من 15الى 23 مارس 1957، عملية (Atlas ) في افريل 1957 وعملية التاج الأولى في بالسترو من 17الى 22 نوفمبر 1958 ثم عملية التاج الثانية ضد كتيبة الزبيرية و كوموندو المنطقة الثانية في الأطلس البليدي والتيطري في 30-12-1958تحت إشراف الفرقة العاشرة للمضليين . أنظر: جيلالي تكران، الصحة في الولاية الرابعة التاريخية،امكانيات وتنظيم 1954-1962،رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر2 ، قسم التاريخ، اشراف، د/بن يوسف تلمساني، 2006-2007 .

*58. Mohamed Teguia , op cit , p 302*

59. جمال قندل، خطا شال وموريس على الحدود الجزائرية التونسية والمغربية وتأثيراتهما على الثورة الجزائرية بين 1957- 1962، دار الضياء ، الجزائر ، 2006، ص 86.

60. **جاك ماسو** : ولد 1908 بفرنسا، عسكري محترف، شارك في تحرير فرنسا من القوات الالمانية أثناء الحرب العالمية الثانية و شارك في الفرقة العاشرة للمظليين في حرب الهند الصينية ومن المشاركين في العدوان الثلاثي على مصر 1956 . أرسل الى الجزائر بعد إنطلاق معركة العاصمة لحفظ النظام وتفكيك النظام الفدائي. دبر إنقلاب 13-05-1958 قائدا للقوات المسلحة أنظر : المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 54 ، تاريخ الجزائر 1830-1962، مرجع سابق ، قرص مضغوط .

61. حمد صايكي، مصدر سابق، ص 276 .

62. جمال قندل، مرجع سابق، ص 87 .

63. بن شرقي حليلي، الولاية الرابعة ومخطط شال، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الثورة الجزائرية ، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ 2005-2006 تحت إشراف الدكتور شاوش حباسي ، ص 77 .

64. Mohamed Teguia , ALN op cit ,p 120.

65. جمال قندل ، مرجع سابق، ص 85 .

66. محمد صايكي، مصدر سابق، ص 277 .

67. نفسه، ص 276 .

*68. Mohamed Teguia , ALN op cit ,p 122 .*

*69. ibid , p 12.*

70. محمد صايكي، مصدر سابق، ص 281 .

71. شهادة مطبوعة للسيد يوسف الخطيب، في الذكرى 45 لاستشهاد سي محمد بونعامة، يوم 5و 6 أوت 2006 ببرج بونعامة ولاية تيسمسيلت .

72. عبد الحميد زوزو ، محطات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، مطبعة هومة ، الجزائر، 2004، ص542 .

*73. Henri le mire , Histoire militaire de la guerre d'Algérie , édition Albin Michel , 1982 , p 141 .*

74. محمد صايكي ، مصدر سابق ، ص 284 .

75. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، القطاع الصحي، مرجع سابق ، ص 08 .

76. محمد صايكي، مصدر سابق، ص 160 .

77. نفسه، ص 160 .

*78. Mohamed Teguia , ALN op. cit , p 69 .*

79. مجلة ذاكرة الولاية الرابعة :القطاع الصحي، مرجع سابق، ص 08 .

80. عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، 542 .

81. عبد القادر حميد، الاستعمار بين الحقيقية التاريخية والجدل السياسي، جريدة الخبر ، العدد 4745 ، يوم 03-07-2006،ص02 .

*82. Mohamed Teguia : ALN , op cit ,p 181.*

83. الرائد عمار ملاح، المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19 مارس لبى سيبتمبر 1962، عين مليلة الجزائر، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، 2005، ص 271 .

84. نفسه، ص 279.

85. أمحمد بوحموم : مرجع سابق، ص 20.

86. **مصالي الحاج** : زعيم الحركة ، هو الحاج أحمد مصالي ولد في 16-05-1898 بتلمسان ، من عائلة فلاحية ، اشتغل في صناعة الأحذية وبائعا متجولا. جند في الجيش الفرنسي 1918 أثناء الحرب العالمية الثانية وبعد إتمام الخدمة، هاجر الى فرنسا للاشتغال بها لينشغل باهتمامات الحركة العمالية في المهجر لبلدان المغرب العربي، حيث أنشا نجم شمال إفريقيا 1926 بباريس. ولمطالبته بالاستقلال أدخل السجن عدة مرات. شارك في تجمع المؤتمر الإسلامي بالجزائر 1936 وهي السنة التي حل فيها النجم، ليشكل حزبا جديدا هو حزب الشعب الجزائري 1937 .باندلا ع الحرب العالمية الثانية حول الى برازافيل 1941 .وبقرار العفو العام 16-03-1946 أعيد تشكيل الحزب تحت عنوان جديد " حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ". أخذ سجينا الى نيوت بفرنسا 1952 . إثرها إشتد الخلاف داخل الحزب في أفريل 1953 الأمر الذي فجر الحزب الى ثلاث تيارات : المصاليون، المركزيون، الحياديون ( دعاة العمل المسلح ) وغداة اندلا ع الثورة 1-11-1954 أنشأ " الحركة الوطنية الجزائرية " في ديسمبر 1954 ووظفتها فرنسا لضرب جبهة التحرير الوطني .وبقي بفرنسا الى أن توفي في 03-06-1974. أنظر : بنيامين ستورا: مصالي الحاج 1898-1974 رائد الوطنية الجزائرية، ترجمة صادق عمار و مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، ص 15 وأنظر أيضا : محمد حربي : الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 177 .

87. **محمد بلونيس** : ولد 1912 ببرج منايل إنخرط في حزب الشعب وشارك في مظاهرات ماي 1945، إنشق عن الحركة المصالية 1956-1959 ، إستحوذ على مناصري المصالية في برج منايل، بالسترو، سور الغزلان و سيدي عيسى ودارت مناوشات بينه وبين جيش التحرير في الولاية الرابعة و السادسة، معوما من الجيش الفرنسي الذي صفاه في 14-07-1958 . أنظر : سعاد يمينة شبوط : منطقة سور الغزلان ...، مرجع سابق ، 37. وايضا أنظر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 : تاريخ الجزائر 1830-1962 ، مرجع سابق ( قرص مضغوط) .

88. محمد صايكي، مصدر سابق، ص 40 .

*89. Mohamed Teguia , ALN , op cit , p 55.*

90. حسيني عائشة، الثورة بالمنطقة الاولى من الولاية الرابعة 1954-1958، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الثورة الجزائرية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ 2001-2002، إشراف الدكتور شاوش حباسي، ص 93 .

91. لخضر بورقعة، شاهد على إغتيال الثورة، مذكرات الرائد سي لخضر، تحرير الصادق بخوش الجزائ ، دار الحكمة للنشر، 1990، ص 74 .

*92. Mohamed Teguia , ALN , op cit , p 56.*

93. سعاد يمينة شبوط، مرجع سابق، ص 37 .

*94. Mohamed Teguia , L'Algerie , op cit , p 174.*

95. **بلحاج الجيلالي** : ولد في دوار زدين بولاية عين الدفلى حاليا 1921 دخل مدرسة ضاط الصف بشرشال برتبة عريف، ثم مناضلا في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية 1949 وإحتضنت مزرعته إجتماع الحركة وأصبح عضوا ومربيا في المنظمة الخاصة. عند إكتشاف المنظمة السرية العسكرية 1950 قبضت عليه الشرطة الفرنسية وسلطت عليه عذابا شديدا لتستخلص منه المعلومات حول التنظيم، فأسر لها بمعلومات وتواطأ معها ضد جيش التحرير . جند عناصره من الشلف والعاصمة موهما إياهم بأنه سجين سياسي ومناضل قديم في حركة الانتصار وصل عددهم الى 500شخص . واجه جيش التحرير وحرض على قتالهم 1957 ، تولى سي امحمد أمرة بتدبير قتله في 28-04-1957 واسترجعت منطقته كمنطقة إستراتيجية للمجاهدين بالولاية الرابعة . أنظر : محمد صايكي : مصدر سابق، ص 41 . وأنظر أيضا : المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 : تاريخ الجزائر، مرجع سابق، قرص مضغوط .

96. الباشاغا بوعلام : حركي من دوار بني بودوان، صديق بلحاج الجيلالي، تواطأ مع القوات الفرنسية، أرهب وعذب السكان في نواحي الكريمية والعطاف .

97. رشيد زوبيرّ، مرجع سابق، ص20.

*98. Mohamed Teguia , ALN, op cit , p 174.*

99. أمحمد بوحموم، مرجع سابق، 187.

100.حسيني عائشة، مرجع سابق، 97 .